

الفصل السادس: تحركات سرية في المملكة العربية السعودية

في مكان قريب في البرية ، حيث كان الأمير القائد تركي يستمتع بهواية صيد الصقور بعد انتهائه من صلاة فجر يوم الجمعة في مسجد قاعدة حفر الباطن الجوية التي تقع في الطرف الشمالي لصحراء النفود على الحدود السعودية العراقية. في تلك البرية حيث يوجد الكثير من مصائد الصقور كالأرانب البرية والطيور المهاجرة، يمارس الأمير تركي هواية صيد الصقور التي تلقى رواجاً لدى الكثير من أفراد الأسرة المالكة في المملكة العربية السعودية.

طقس الصحراء في الصباح الباكر بارد ، وتهب الرياح باردة على الرغم من أنه منتصف فصل الصيف. كان ذلك في عام 2003 حيث شهدت تلك القاعدة الجوية مرحلة من التوتر المتواصل حتى سقوط الرئيس صدام حسين في العراق. الآن تحررت العراق ولكنها دمرت، ومع انتشار الفوضى في العراق أصبحت مهمة القوات في هذه القاعدة تتحصر في حماية الحدود من تسلل الإسلاميين المتطرفين أو أعضاء تنظيم القاعدة، بالإضافة إلى مهمتها الرئيسية وهي ملاحقة مهربي المخدرات والمشروبات الكحولية. يجري تنفيذ كل هذه المهام من قبل دوريات الحرس الوطني التي تقوم بتمشيط الصحراء. أما القوات الجوية فقد فقدت دورها تماماً، لذا وجد الأمير تركي متسع من الوقت لممارسة هواية صيد الصقور لقتل الوقت بشكل غير متعمد. كان ذلك حتى تلك اللحظة فقط.....

وفجأة ، ينطلق صوت لتلاوة القرآن الكريم من الجيب الأيمن لثوب الأمير الأبيض الفضفاض، كان ذلك صوت الهاتف الخليوي. في الجيب الأيسر يوجد الهاتف الخليوي المعتاد، أما الهاتف الذي يضعه الأمير في جيبه الأيمن فهو الهاتف الخاص بالتنفيذيين من ضباط الجيش. أن غالبية المسؤولين التنفيذيين في الجيش السعودي هم أمراء من أسرة آل سعود حيث أنهم يتوارثون تلك المهام جيل بعد جيل، فعلى سبيل المثال، وزير الدفاع هو والد الأمير القائد تركي.

"أبي... هل حدث شيء ما"؟ أجاب الأمير على الهاتف بصوت فيه نبرة من البهجة والاحترام، فهم منها جنوده بأن على الطرف الآخر من الهاتف وزير الدفاع، فبدى التوتر على وجوههم.

وزير الدفاع هو الأبن الخامس عشر لمؤسس المملكة العربية السعودية، وهو الأخ غير الشقيق للملك الحالي. تزوج مؤسس المملكة الكثير من النساء، أنجب له أكثر من ثلاثين إبناً، نجحوا هؤلاء الأخوة في ترتيب عرش الملك بينهم بحسب السن. والدة وزير الدفاع تدعى "الحسا بنت السديري"، أنجبت سبعة أبناء من بينهم والد الأمير تركي، هؤلاء السبعة أشقاء تمسكوا بالسلطة ونافسوا عليها الإخوة غير الأشقاء. أصبح الأخ الأكبر لهم الملك الخامس وحكم البلاد لسنوات طويلة، وقد تمكن بأسلوبه الخاص من ترقية الأخوة الأشقاء الأصغر سناً في مناصب حكومية رفيعة المستوى. ونتيجة لذلك، تمكن السبعة أشقاء من تعزيز مناصب هامة لهم داخل أسرة آل سعود.

"أشرح لك في فترة وجيزة المواضيع الضرورية فقط.." صوت الأب على الهاتف أكثر حدة من المعتاد.

"كان هناك اقتراح من واشنطن منذ عدة أيام، بأن ثلاث مقاتلات إسرائيلية ستنوجه إلى إيران بعد ثلاثة أيام من الآن، أي صباح يوم الإثنين، وقالوا إن المقاتلات سوف تحلق في السماء عبر الحدود بين العراق والمملكة".

في تلك الآونة، كانت وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم قد أعلنت عن عزم إسرائيل مهاجمة موقع نووي في إيران، مع ذلك، كان الأمير تركي يشكك في صحتها، إلا أنه أدرك في هذه اللحظة أن الشائعات أصبحت حقيقة، فقد بدى التوتر ظاهراً عليه.

"إسرائيل تستهدف مدينة نطنز. وواشنطن تقر بالهجوم من قبل إسرائيل، وتطلب منا التغاضي عن الثلاث مقاتلات". تابع وزير الدفاع التحدث بلا أكرات متجاهلاً

حالة الارتباك التي أصابت ابنه في الجانب الآخر من الهاتف. وأضاف "هل لك أن تخبرنا ما الذي ينبغي عمله؟"

"كان لي حديث مع الملك، ومع وزير الداخلية، ووزير الخارجية". الملك هو الأخ غير الشقيق والأكبر بعامين من وزير الدفاع، ووزير الداخلية الأخ الشقيق له، أما وزير الخارجية فقد كان الابن اليتيم للملك الثالث، أي، ابن أخيهم. إن كلاً من وزير الدفاع ووزير الداخلية ووزير الخارجية محافظين على مناصبهم هذه منذ ثلاثون عاماً أو أكثر، وهذا يعني أيضاً، المزيد من الحماية لحكم أسرة آل سعود على البلاد.

"لقد قررنا قبول طلب واشنطن. وبالتأكيد سوف تحلق ثلاث مقاتلات شمال قاعدتك قرب الفجر. الزم الصمت وتغاضى عنهم." سأل الأمير تركي والده "قد تنتهك المقاتلات الإسرائيلية مجالنا الجوي الإقليمي، فهل تطلب مني أن أتغاضى عنهم؟ لماذا لا أسقطهم؟"، يتحدث الأمير بعزة، وهو لم يكذب الأمر الموجه له من والده.

رفرف الصقر "ناصر" الواقف على كتفه، فقد فوجئ بنبرة صوت الوزير المرتفعة. لقد أعطى الأمير تركي أسم والده للصقر، وهذا نوع من احترام الأب لوالده. ومع ذلك، قد يتضمن ذلك معنى آخر، ففي العالم العربي تقدير الأب هي عادة اجتماعية سائدة، فلا يمكن للأب أن يعارض والده. فقد كان الأمير تركي ينفس عن إستيائه من بعض تصرفات والده في الصقر "ناصر"، فكان عندما يطلق الصقر ثم يخطئ الفريسة ينهال الأمير على الصقر بالشتم قائلاً له: "لقد كنت جيداً مقابل لا شيء. يا ناصر"، فيشعر بالإرتياح.

وتابع الأب "دعنا نفكر جيداً يا بني! تطوير الأسلحة النووية من جانب إيران يشكل تهديداً وشيكاً علينا، أن أئمة الفرس الشيعية هم أعداء للمملكة كما هم أعداء للولايات المتحدة والدول الأوروبية أيضاً. إيران هي عدونا البغيض أكثر من إسرائيل." "إسرائيل تقول انها ستهاجم العدو، فلنتفعل إسرائيل ماتريد. لأنها على الأقل سوف

تريحننا من القلق المسببته لنا إيرن. إن من صالحنا أن يتقاتل اليهود مع الفرس، فنتم لنا نحن العرب الفائدة وبدون مقابل. "

تسربت ضحكات وزير الدفاع الساخرة من الهاتف. لم يعد يرغب الأمير تركي سماع تلك الضحكات الساخرة التي اعتاد سماعها من والده منذ أن كان شاباً. لقد أصبح الأب وزيراً للدفاع عندما كان في الثلاثينات من عمره، بينما تركي الآن في الثلاثينات من عمره ولا يزال قائداً! لم يكن الأب يستطيع الحفاظ على منصب وزير الدفاع حتى اليوم لولا براعته في استخدام الحيل. لقد كان وزير الدفاع يطلق تلك الضحكات الساخرة كلما نجح ببراعة في تخطي العقبات التي تواجهه في طريق صعوده إلى أعلى درجات السلطة.

في المقابل ، فقد ولد الأبن تركي "وفي فمه ملعقة من فضة"، ونشأ شاباً نزيهاً ومرحاً، وكان لا يتوقف أبداً عن الضحك مع الأصدقاء ممن حوله. سافر إلى الولايات المتحدة ليتدرب على قيادة الطائرات، فكان ذلك المسار الأساسي لتحقيق النجاح في الجيش. كان لشخصيته الصادقة قبول كبير لدى مدربيه وزملائه الأميركيين، حيث أن الجنود الأميركيين يحبون الشخص المرح الصدوق. وعلاوة على ذلك ، فإن الأميركيين بطبيعتهم يتشوقون للشخص الذي يمثل "عائلة مالكة"، فليس هناك "أمير" في الولايات المتحدة. أما بالنسبة للجندي الأمريكي، فهو يشعر بمنتهى السعادة، وأنه أصبح من الطبقة الراقية من المجتمع، فقط لأنه صاحب أمير من عائلة مالكة. وزاد الأمير على ذلك، بأن حافظ على صداقة رفاقه "الذين تناولوا الأرز معه في نفس المرجل" حتى الآن.

لم يتفهم وزير الدفاع مشاعر ابنه، واسترسل في الكلام: "لقد أبلغتني واشنطن طلباً آخراً لإسرائيل، وسوف أعطي المهمة لك ولفرقتك الخاصة." تغيير لون وجه القائد فجأة، بعد أن وجّه وزير الدفاع الأمر له.

"حسناً يا أبي". قال ذلك ثم قطع الاتصال، ومن ثم وجّه الأمر لجنوده قائلاً:

" إنتهى صيد الصقور، يجب عليكم العودة إلى القاعدة على الفور، وإحضار جميع كبار الضباط! سيعقد إجتماع هام بعد نصف ساعة من الآن في غرفتي. "